وقد ـــــ سه عز وجل

امرهم حتى ياتي امر الله اي موتهم او انقضاء عمرهم وهم على ذلك اي على القيام بامره وفيه اشارة الى ان وجه الارض لا يخلو من الصلحاء الثابتين على اوامر الله المتباعدين الحافظين لامور الشريعة فيستوي عندهم معاونة الناس ومخالفتهم اياه وفسر شارح امر الله بالقيامة ويشكل عليه حديث لا تقوم الساعة حتى لا يكون في الارض من يقول الله وقال شارح غاية بامر الله اي متمسكة بدينه قيل هم الامة القائمة بتعليم العلم وحفظ الحديث لاقامة الدين وقيل هم المقيمون على الاسلام المديمون له من قام الشيء دام والباقي بامر الله بمعنى مع او للتعدية اي دائمة مع امر الله او مديمة اياه وقيل يحتمل ان المراد به ان شوكة اهل الاسلام لا تزول بالكلية فان ضعف امر في قطر قوي وعلى في قطر اخر وقام باعلائه طائفة من المسلمين وقال التوربشتي الامة القائمة بامر الله وان اختلف فيها فان المعتد به من الاقاويل انها الفئة المرابطة بثغور الشام نصر الله بهم وجه الاسلام لما في بعض طرق هذا الحديث وهم بالشام وفي بعضها حتى يقاتل اخرهم المسيح الدجال وفي بعضها قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس فان قيل ما وجه هذا الحديث وما في معناه من الاحاديث التي وردت في الشام وقد عاثت الذئاب في القطيع وعبرت الجنود العاتية عن الفرات واباحت على ما وراءه من البلاد كمنبج وسروج وحلب وما حولها قلت انما اراد بقوله لا يضرهم كل الضرر وقد اضر الكفار يوم احد باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولما كانت العاقبة للتقوى لم يعد ذلك ضرا عليهم مع ان الفئة الموعودة لهم بالنصر هم الجيوش الغازية بها ولم يصبهم بحمد الله الى يوم عضاضة ولا هوان بل كان لهم النصرة وعلى عدوهم الدبرة متفق عليه ورواه ايضا ابو داود والنسائي وابن ماجة كذا قاله السيد جمال الدين ورواه الشيخان عن المغيرة ولفظه لا تزال طائفة من امتي ظاهرين حتى ياتيهم امر الله وهم ظاهرون ورواه ابن ماجة عن ابي هريرة ولفظه لا تزال طائفة من امتي قوامة على امر الله لا يضرها من خالفها ورواه الحاكم عن عمرو ولفظه لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة وذكر حديث ان من عباد الله اي من لو اقسم على الله لابره في كتاب القضاء من الفصل الثاني عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر اي في حكم ابهام افراد الجنس لا يدرى اوله اي اوائل المطر او المطر الاول خير اي انفع ام اخره اي اواخره او المطر الاخر قال التوربشتي لا يحمل هذا الحديث على التردد في فضل الاول على الاخر فان القرن الاول هم المفضلون على سائر القرون من غير شبهة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفي الرابع اشتباه من قبل الراوي وانما المراد بهم نفعهم في بث الشريعة والذب عن الحقيقة قال القاضي نفي تعلق العلم بتفاوت طبقات الامة في الخيرية واراد به نفي التفاوت كما قال تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض اي بما ليس فيهن كانه قال لو كان يعلم لانه امر لا يخفى ولكن لا يعلم لاختصاص كل طبقة منهم بخاصية وفضيلة توجب خيريتها كما ان كل نوبة من نوب المطر لها فائدة في النشور والنماء لا يمكنك انكارها والحكم بعدم نفعها فان الاولين امنوا بما شاهدوا من المعجزات وتلقوا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاجابة والايمان والاخرين امنوا بالغيب لما تواتر عندهم من الايات واتبعوا من قبلهم بالاحسان وكما ان المتقدمين اجتهدوا في التاسيس والتمهيد فالمتاخرون بذلوا وسعهم في التلخيص والتجريد وصرفوا عمرهم في التقرير والتاكيد فكل مغفور وسعيهم مشكور واجرهم موفور انتهى وحاصله انه لما لا يحكم بوجود النفع في بعض الامطار دون بعض فكذا لا يحكم بوجود الخيرية في بعض افراد الامة دون بعض من جميع الوجوه اذ الحيثيات مختلفة الكيفيات ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ومع هذا فالفضل للمتقدم وانما هذا تسلية للمتاخرين الى ان باب الله مفتوح وطلب الفيض من جنابه مفسوح قال الطيبي تمثيل الامة بالمطر انما يكون بالهدى والعلم كما ان تمثيله صلى الله عليه وسلم الغيث بالهدى والعلم فتختص

هذه الامة

هذه الامة المشبهة بالمطر بالعلماء الكاملين منهم والمكملين لغيرهم فيستدعي هذا التفسير ان يراد بالخير النفع فلا يلزم من هذا المساواة في الافضلية ولو ذهب الى الخيرية فالمراد وصف الامة قاطبة سابقها ولاحقها واولها واخرها بالخير وانها ملتحمة بعضها مع بعض مرصوصة بالبنيان مفرغة كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها وفي الملكة ويلمح الى هذا المعنى قول الشاعر

ان الخيار من القبائل واحد ◦ وبنو حنيفة كلهم خيار

فالحاصل ان الامة مرتبط بعضها مع بعض في الخيرية بحيث ابهم امرها فيها وارتفع التمييز بينها وان كان بعض افضل من بعض في نفس الامر وهو قريب من سوق المعلوم مساق غيره وفي معناه انشد مروان بن ابي حفصة

تشابه يوماه علينا فاشكلا ◦ فما نحن ندري اي يوميه افضل

ايوم بدء العمر ام يوم ياسه ◦ وما منهما الا اغر محجل

ومن المعلوم علما جليا ان يوم بداءة العمر افضل من يوم ياسه لكن البدء لما لم يكن ولم يتسبب الا بالياس اشكل عليه الامر فقال ما قال وكذا امر المطر والامة انتهى وخلاصته ان هذه الامة كلها لا تخلو عن الخير كما اشار اليه بقوله هذه امة مرحومة لكون نبيها نبي الرحمة بخلاف سائر الامم فان الخير في سابقهم ثم جاء الشر في لاحقهم حيث بدلوا كتبهم وحرفوا ما كان عليه اولهم رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وروى احمد عن عمار بن ياسر وابن حبان في صحيحه عن سلمان فقول النووي في فتاواه ضعيف متعقب وقد يصحح كلامه بانه ضعيف في بعض طرقه لكن في عرف المحدثين ينافيه الاطلاق فالاحسن ان يقال انه ضعيف في نفسه حسن لغيره بل قال بعض المحققين حديث مثل امتي مثل المطر حديث حسن له طرق قد يرتقي بها الى الصحة انتهى وفي الجامع الصغير رواه احمد والترمذي عن انس واحمد عن عمار وابو يعلى عن علي والطبراني عن ابن عمرو وعن ابن عمر

الفصل الثالث عن جعفر اي الصادق عن ابيه اي محمد الباقر عن جده اي زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وسمي مثل هذا السند سلسلة الذهب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا من الابشار ففي القاموس ابشر فرح ومنه ابشر بخير وابشروا كرره للتاكيد او احدهما للدنيا والاخر للعقبى ولا يبعد ان يكون الثاني بمعنى بشروا على ما في القاموس انما مثل امتي اي او ادل امتي الاجابة مثل الغيث اي مثل انواع المطر في حصول المنفعة لا يدرى اخره خير ام اوله ولعل عكس الترتيب هنا لافادة زيادة المبالغة او كحديقة او للتنويع او التخيير والمعنى كمثل بستان ذي اشجار ذات اثمار يشبه به الدين باعتبار شرائعه واركانه وشعبه واغصانه اطعم بصيغة المجهول اي انتفع منها اي من بعضها فوج اي جمع عاما اي سنة ثم اطعم منها اي من بعضها الاخر فوج عاما لعل اخرها فوجا منصوب على التمييز ان يكون اي اخرها اعرضها عرضا واعمقها عمقا واحسنها حسنا بالنصب على انها خبر يكون وجوز الطيبي رفعها كما سياتي لكنه غير موجود في النسخ الحاضرة كيف تهلك امة اي بالكلية انا اولها والمهدي وسطها بفتح السين ويسكن والمسيح اي عيسى عليه السلام اخرها اي اخر الامة ولكن بين ذلك اي بين ما ذكر من اولها ووسطها المتصل باخرها فيج بفتح فاء وسكون بالجيم اي فوج افوج دافرد باعتبار لفظ الفوج قال في المصباح الفيج الجماعة وقد يطلق على الواحد فيجمع على فيوج وافياج كبيوت وابيات وقال الازهري اصل فيج فيج بالتشديد لكنه خفف كما قيل في هين هين ليسوا اي ذلك الفوج وجمعه باعتبار المعنى مني متصلا بي ومتبعا لي او من اتباعي واحبائي ولا انا منهم بل انا متبرئ منهم وغير راض عنهم بفسقهم وظلمهم هذا وقال الطيبي في قوله او حديقة او هذه مثلها في قوله تعالى او كصيب من السماء في انها مستعارة للتساوي في غير الشك كقولك جالس الحسن او ابن سيرين يريد انهما سيان في استصواب ان يجالسا ومعناه ان كيفية صفة امتي مشبهة بكيفية المطر والحديقة وانهما سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايهما مثلها فانت مصيب في تمثيلها بهما جميعا فان قلت اي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)